

(١)

الحج رحلة إيمانية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَادْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ صَاحِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}، وأشهدُ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِّلْمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو من أحب الأعمال إلى رب العالمين، به ثرفع الدرجات، وثكير الذنوب والسيئات، حيث يقول الحق سبحانه: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (بُنِيَّ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحِجُّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ حَجَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيْوَمْ وَلَدَنَهُ أُمُّهُ)، ويقول (عليه الصلاة والسلام): (أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْتَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ).

والحج رحلة إيمانية مباركة، رائدتها الإخلاص لله رب العالمين، بعيداً عن الرياء والسمعة، فالحاج يخرج من بيته مهاجرًا إلى ربه، تاركاً أهله، متواضعًا لمولاه، منتقلًا بين المشاعر المقدسة بقلب خاشع، ولسان ذاكر، مقبلًا على ربه، يرجو رحمته، ويخشى عذابه، حيث يقول الحق سبحانه: {وَإِذْ بَوَأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَرْ بَيْتِي لِلظَّاهِرِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكْعَ السُّجُودُ}، لذلك فإن أول ما يهل به الحاج هو

(٢)

شعار التوحيد، قائلًا: (لَبِّيْكَ اللَّهُمَّ لَبِّيْكَ، لَبِّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبِّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالْعَمْةَ لَكَ وَالْمُلْكُ، لَا شَرِيكَ لَكَ).

ومما لا شك فيه أن الحج هو ميدان ذكر الله تعالى، فالذكر هو المقصود الأعظم للعبادات عموماً، وللحج خصوصاً، فما شرع الطواف بالبيت العتيق، ولا السعي بين الصفا والمروءة، ولا رمي الجamar إلا لإقامة ذكر الله، حيث يقول الحق سبحانه: {إِلَيْشَهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ}، ويقول سبحانه: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَلْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرُعِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَأْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَفْيِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضُ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذَكْرًا}، فيأنس الحاج بالذكر، وطمئن نفسه به، يقول سبحانه: {أَلَا يَذْكُرِ اللَّهُ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ}.

ويذكر الحجاج في حجّهم يوم القيمة، حيث تجتمع الأعداد العظيمة في صعيد واحد، فيذكر الناس زحام يوم القيمة، يوم يجمع الله الأولين والآخرين ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن الحجّ موسم لتعزيز العلاقات الاجتماعية، ففي الحج يتعارف الناس ويتألفون ويترحمون، فتتجلى الأخوة الإسلامية في أبيهى صورها، حيث يقول الحق سبحانه: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}، ويقول سبحانه: {وَإِنَّ هَذِهِ

(٣)

أَمْتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ》， ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَيْضَنَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَيْضَنَ، إِلَّا بِالنَّقْوَى ، النَّاسُ مِنْ آدَمُ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابِ).
على أننا نؤكد أنه لا يتصور أن يكتمل حج إنسان دون أن يتخلق بالفضائل،

ويتجنب الرذائل، فالحج سلوك ومسؤولية وخلق حسن، حيث يقول الحق سبحانه: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَرَوْدُوا فِي حَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أُولَئِكَ الْأَبْلَابَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمَرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِيقًا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خَلْقَهُ).

فالحج لا يجادل، ولا يماري، ولا يؤذى أحداً بقول أو فعل، بل عليه أن يكون معييناً للضعفاء، راعياً لهم، حسن الصحبة والمرءة، لين الجانب مع كل من معه، حريراً على أداء الشعائر على الوجه الأكمل، مكتراً من ذكر الله تعالى وسائر الطاعات.

اللهم تقبل صالح أعمالنا، ووفقنا لما تحبه وترضاها